دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

الدور الوطني والريادي للمرأة الليبية
خلال النصف الأول من القرن العشرين

مريم الصادق جمعة
أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة عمر المختار – البيضاء
دولة ليبيا

مُلَخّص

شهدت ليبيا خلال النصف الأول من القرن العشرين أحداثاً سياسية وعسكرية كان لها أثرًا كبيرًا على حياة المجتمع وعلى وضع المرأة ودورها فيه، فقد أصبحت البلاد خلال هذه الفترة ساحةً لصراعات القوى الأجنبية، مما أثر على حياة المجتمع من كافة الجوانب السياسة والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وانعكس ذلك بدوره على وضع المرأة ودورها في المجتمع، وتميزت هذه المرحلة التاريخية ببروز الدور الوطني والريادي للمرأة الليبية، وتمثل الدور الوطني للمرأة في مشاركتها في حركة المقاومة الوطنية ضد الغزو الإيطالي منذ البداية، حيث أسهمت النسوة الليبيات في حركة الجهاد عبر قيامهن بأدوار مختلفة، ولعبت النساء في المجموعات القبلية دورًا محوريًا بالانضمام لحركة المقاومة مع أفراد أسرهن وقبائلهن في معسكرات الجهاد، مما أدى إلى تعرضهن لعمليات الاعتقال والأسر والتعذيب والنفي والحكم بالإعدام، كما قمن بالحفاظ على استمرار الحياة الطبيعية في القبيلة ورعاية أسرهن أثناء الحرب وتوفير الدعم اللوجستي للمقاومة، وكان دورها في حركة الجهاد مكملاً لدور الرجل ودافعًا هامًا لاستمراريتها، وشهدت هذه الفترة التاريخية كذلك بروز الدور الريادي للمرأة الليبية الذي تمثل في مبادرات قامت بها رائدات ليبيات كان لهن دورًا بارزًا في تطوير المجتمع من خلال العمل في مجالات التعليم والثقافة والإعلام، وكان لهذه النخبة من السيدات دورًا بارزًا في النهوض بالمجتمع والرفع من مستوى المرأة وفتح المجال أمامها للخروج للعمل والتعليم، ويهدف هذا البحث إلى رصد التطورات التي طرأت على أوضاع المرأة في ليبيا خلال القرن العشرين، والتعرف على الدور الوطني الذي قامت به بمساهمتها في حركة الجهاد ضد الغزو الإيطالي، كما يهدف إلى التعرف على الدور الريادي للمرأة الليبية في المجالات المختلفة.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١١ يناير ٢٠٢٣
تاريخ قبـول النشـر: ١٩ فبراير ٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

المرأة الليبية؛ تاريخ ليبيا المعاصر؛ العهد العثماني؛ الاحتلال الإيطالي؛ الحرب العالمية

معرّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2023.325611

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

مريم الصادق جمعة. "الدور الوطني والريادي للمرأة الليبية خلال النصف الأول من القرن العشرين".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد التاسع والخمسون؛ مارس ٢٠٢٣. ص ٢٠٦ – ٢١٧.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: mariam.elsadeg@omu.edu.ly
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّوريةُ كان التَّاريْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

كانت المرأة الليبية في بدايات هذا القرن تعيش في ظل مجتمع تقليدي هيمنت عليه ثقافة وعادات وتقاليد متوارثة، قامت على تقييد حرية المرأة والحد من تفاعلها داخل الوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه، وقد تأثرت أوضاع المرأة بالظروف السياسية التي مرت بها البلاد ففي العهد الإيطالي عانت المرأة من السياسات الاستعمارية كالمعتقلات الجماعية وحملات النفي والتهجير والعقوبات المختلفة إلى جانب العوائق الأخرى التي واجهتها خلال هذه الفترة مثل كسوء الأحوال الاقتصادية، وعلى الرغم من هذه الأوضاع التي شهدتها البلاد خلال النصف الأول من القرن العشرين إلا أن المرأة الليبية لعبت دورًا وطنيًا وريادياً هامًا فقد تميزت هذه المرحلة التاريخية بمشاركتها في حركة المقاومة الوطنية ضد الغزو الإيطالي، حيث أسهمت النساء الليبيات في حركة الجهاد عبر قيامهن بأدوار مختلفة، كما شهدت بروز الدور الريادي للمرأة الليبية الذي تمثل في مبادرات قامت بها رائدات ليبيات كان لهن دورًا بارزًا في تطوير المجتمع والنهوض به.

تتمثل **أهمية الموضوع** في أن دراسة أوضاع المرأة الليبية ودورها الوطني والريادي خلال النصف الأول من القرن العشرين يسهم في فهم طبيعة التغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع الليبي ومعرفة تطور الحركة النسائية في ليبيا.

الهدف من الدراسة: يهدف هذا البحث إلى رصد التطورات التي طرأت على أوضاع المرأة في ليبيا خلال القرن العشرين، والتعرف على الدور الوطني والدور الريادي للمرأة الليبية في المجالات المختلفة.

مشكلة الدراسة: تطرح هذه الدراسة مجموعة من التساؤلات أهمها كيف كانت أوضاع المرأة الليبية خلال النصف الأول من القرن العشرين؟ ما طبيعة الدور الوطني الذي قامت به المرأة الليبية خلال النصف الأول من القرن العشرين؟ وما هو الدور الريادي الذي قامت به الرائدات الليبيات خلال هذه الفترة التاريخية.

ولتحقيق هذه الغاية تم تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية، المحور الأول بعنوان: أوضاع المرأة الليبية خلال النصف الأول من القرن العشرين ويتناول أوضاع المرأة في أواخر العهد العثماني ثم يتطرق إلى أثر الاحتلال الإيطالي على حياة المرأة، كما يتناول تأثير التطورات التي شهدها المجتمع الليبي بعد الحرب العالمية على المرأة الليبية، أما المحور الثاني فهو بعنوان: الدور الوطني للمرأة الليبية خلال النصف الأول من القرن العشرين ويتطرق إلى الدور الوطني الذي قامت به النساء الليبيات إبان حركة الجهاد ضد الغزو الإيطالي مثل الدور المادي والمعنوي الذي قامت به المرأة الليبية في معسكرات الجهاد، وكذلك الوظائف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تقوم بها دعمًا لحركة الجهاد، والمحور الثالث بعنوان: الدور الريادي للمرأة الليبية ويستعرض الجهود التي قامت بها أهم الرائدات الليبيات خلال هذه الفترة التاريخية.

أما **المنهج** المتبع في كتابة ها البحث فهو المنهج التاريخي السردي القائم على رصد التطورات التاريخية وتحليلها، ومن **أهم المصادر والمراجع** التي تم الاعتماد عليها في إعداد وكتابة هذا البحث الوثائق الصادرة عن مركز جهاد الليبيين مثل: موسوعة روايات الجهاد تجميع رباب أدهم سلسلة الروايات الشفوية المجلد رقم ٢٩، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس،١٩٩١)، وزينب محمد زهري، سلسلة الروايات الشفوية، المجلد رقم ٣٧، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس،١٩٩٥)، وأطروحة دكتوراه منشورة للباحثة كاترينا إليزابيث بعنوان:

Women, Resistance and the creation of new gendered Frontiers in the making of modern Libya, 1890- 1980, a published doctoral, dissertation, Graduate school of Arts and Sciences, Georgetown University, (Washington, D .C.,15 November, 2017).

الحدود المكانية: ليبيا.

الحدود الزمانية: النصف الأول من القرن العشرين.

أولاً: أوضاع المرأة الليبية خلال النصف الأول من القرن العشرين

شهد المجتمع الليبي خلال النصف الأول من القرن العشرين تغيرات جذرية في بنيته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد توالت على ليبيا خلال هذه الفترة أحداث تاريخية مهمة تمثلت في سيطرة القوى الاستعمارية على

البلاد، وأثر ذلك على حياة المجتمع من كافة الجوانب، وانعكس على وضع المرأة ودورها في المجتمع، ولمعرفة أثر هذه التحولات التاريخية على حياة المرأة يمكن دراستها وفقًا للتقسيم الآتي:

١/١-المرأة الليبية في أواخر العهد العثماني

تأثرت أوضاع المرأة في العهد العثماني بالثقافة التقليدية السائدة في المجتمع التي وضعتها في مرتبة متدنية عن الرجل على الرغم من الدور الاجتماعي الذي كانت تقوم به كزوجة وأم ويد عاملة منتجة، وقد عانت المرأة كثيرا من سيطرة الرجل الذي كان ينظر إليها نظرة تستند على الأفكار والعادات المتوارثة التي رسخت في المجتمع والتي تقوم على تقييد حرية المرأة والهيمنة عليها، فعاشت حبيسة بيتها لا تغادره إلا للمناسبات المهمة جدًا[١]، والإناث وفقًا لذلك كن يجهلن ما يجري خارج دائرتهن الضيقة ولا يعلمن إلا بالقدر الذي يسمح به لهن الذكور في إطار العزلة المفروضة عليهن[٢]، ويظهر السلوك المتشدد تجاه المرأة في المجتمع الحضري أكثر منه في مجتمعات الريف والبادية، وقد أسهم تفشي الأمية في العهد العثماني في انتشار هذه النظرة، وعلى الرغم من ظهور التعليم الحديث للإناث في أواخر العهد العثماني المتمثل في إنشاء مدارس ابتدائية ورشدية (إعدادية) للبنات إلا إن التعليم فيها لم يكن متاحًا لكافة الفتيات من عامة الشعب، وكان الهدف منها منع بنات الحامية التركية من الالتحاق بالمدارس الأجنبية، وقد التحقت بها أعداد بسيطة من التلميذات الليبيات مما يعكس نخبوية التعليم ومحدوديته[٣].

لقد انعكست هذه الثقافة على وضع المرأة فحرمت في كثير من الأحيان من أبسط حقوقها التي أقرتها لها الشريعة مثل حقها في اختيار الزوج وحقها في الميراث بذريعة أنها تعطي الأرض للغريب، وقد أثر ذلك على نظام الزواج الذي كان في الغالب قرابيًا وداخل الأسرة[٤], أما فيما يخص مشاركة المرأة في العمل فيبدو دور النساء في البادية والأرياف أكثر وضوحًا من قاطنات المدن، حيث تقوم المرأة البدوية أو الريفية بدور مهم في العمل والإنتاج يتمثل في مشاركتها للرجل في الأعمال الزراعية والحصاد ورعي الحيوانات والقيام ببعض الصناعات إلى جانب أعمالها المنزلية مما جعلها تتمتع بهامش من الحرية مقارنةً مع نساء الحضر[٥]، وفي المناطق الصحراوية شاركت النساء في الأعمال التجارية فقد أشار الضابط التركي عبد القادر جامي إلى وجود ركن للنساء بسوق (حميدة) في مرزق تقوم فيه النساء ببيع السلع المختلفة[٦]، أما المرأة في المجتمع الحضري فقد كانت بعيدة عن المشاركة في العمل الرئيسي والتقاليد تحرم عليها مغادرة المنزل في أغلب الأحيان، وفي حالة ممارستها لأي نشاط اقتصادي يكون منزليًا مثل الخياطة أو صباغة الصوف ودبغ الجلود أو صناعة الحصر[٧]، وقد اشتهرت النساء في بعض المدن بالقيام بهذا النوع من النشاط مثل مصراتة التي قيل انه لا يخلو بيت من بيوتها من نول لصناعة الحصر وكانت النساء تشكل اليد العاملة في هذه الصناعة[٨]، كما اشتهرت نساء زليطن والخمس ونالوت وجادو بنسج الصوف.[٩]

١/٢-أوضاع المرأة الليبية خلال فترة الاحتلال الإيطالي

تعرضت ليبيا عام١٩١١م للاحتلال الإيطالي واستمر هذا الاحتلال لثلاثة عقود تقريبًا شهدت البلاد خلالها حرب إبادة هدفها إزاحة الليبيين وتوطين الإيطاليين، وقد واجه الشعب الليبي هذا الاحتلال بحركة مقاومة مسلحة شارك فيها الرجال والنساء، وسعت إيطاليا لقمع حركة المقاومة الوطنية بمختلف الوسائل، وكان لذلك آثاره الواضحة على جوانب الحياة الاجتماعية وعلى أوضاع المرأة بشكل خاص، فالمعتقلات الجماعية وحملات النفي والتهجير طالت النساء الليبيات ونفذت في الكثير منهن العقوبات المختلفة جراء الدفاع عن الوطن، إلى جانب العوائق الأخرى التي عانت منها المرأة الليبية كسوء الأحوال الاقتصادية والصحية ومحدودية التعليم، وكلها كانت معرقلة لأدوار النساء وفعاليتها[١٠].

وفيما يخص تعليم المرأة في فترة الاحتلال فقد كانت إيطاليا ترى في التعليم وسيلة لنشر ثقافتها، فعملت خلال العقد الأول من الحكم الاستعماري على افتتاح المدارس الابتدائية والمدارس الفنية والمهنية لأبناء العرب واليهود بهدف استقطابهم وتنشئتهم وفقًا لأهدافها الاستعمارية[١١]، كما افتتحت أول مدرسة لتعليم البنات(مدرسة التربية والعمل للبنات) في عام ١٩١٢م، وتضمن المنهج فصلين أحدهما ابتدائي والآخر مهني، ولكن إقبال

الفتيات على هذه المدارس كان ضعيفًا[١٢]، فقد أحجم الآباء عن تعليم بناتهم بعدما رأوه من تصرفات قوات الاحتلال وسلوك الإيطاليين الذي يتنافى مع الشريعة الإسلامية والتقاليد العربية[١٣]، كما أن الإستراتيجية التي وضعها الإيطاليون ركزت على تعليم الأطفال الذكور أكثر من تعليم الفتيات إلى حد كبير، ولم يتضمن المرسوم الملكي الذي صدر في عام ١٩١٤م أي أحكام لمدارس الفتيات المسلمات، واقتصرت السياسة التعليمية للحكومة الإيطالية الخاصة بتعليم البنات على مدارس مهنية تسمى مدارس التربية والعمل للفتيات[١٤].

وبعد سيطرة الحزب الفاشستي على الحكم عام ١٩٢٢م استخدمت السلطات الإيطالية التعليم وسيلةً للتغلغل في الأوساط الشعبية الليبية والترويج لسياساتهم وثقافتهم داخل المجتمع الليبي[١٥]، فاتبع الإيطاليون سياسة رسمية لتعليم الفتيات كان الهدف منها هو إقامة تحالفات مع عائلات النخبة التي كانت ضرورية لترسيخ الحكم الإيطالي في المدن الرئيسية بدلاً من تعزيز تعليم المرأة كغاية في حد ذاتها، وصدر مرسوم ملكي عام ١٩٢٨م تضمن إرشادات مختلفة لتعليم الفتيات ونص مرسوم ملكي آخر على تأسيس مدرسة نسائية لتعليم الحرف التقليدية للفتيات في طرابلس، وكانت تقدم منهج أكاديمي مشابه للمنهج العثماني مع التركيز على تعليم اللغة الإيطالية، كما أنشئت مدرستان للبنات في بنغازي ودرنة، وفي المعتقلات التي أقيمت لقبائل برقة تم تأسيس معسكرات لتعليم الأطفال الأيتام وتلقينهم الأيديولوجية الفاشية، وضم معتقل (سلوق) مدرسة للفتيات لتعليمهن الخياطة، وشهد عام ١٩٣٥ نموًا بسيطًا في التعليم المهني للفتيات مع افتتاح مدرستين إحداهما في درنة ضمت ٣٠٠ طالبة والأخرى في مصراتة لتدريب الفتيات على نسج السجاد، وفي عام ١٩٣٦م قررت السلطات الإيطالية إتاحة الفرصة لأول مرة أمام الفتيات المسلمات لتلقي تدريب يوفر لهن إمكانية الحصول على وظيفة مهنية، فافتتحت مدرسة لتدريب المرضات تسمى مدرسة الأميرة ماريا وقد التحقت بها ستة عشر فتاة، وفي العام التالي زاد العدد إلى خمسة وعشرون متدربة، وبحلول عام ١٩٤٠ قامت المدرسة بتدريب ١٦٦ طالبة خمسة منهن من خارج المستعمرة، وعلى الرغم من نمو التعليم المهني إلا أن إيطاليا لم تهتم بالتعليم الأكاديمي للفتيات ولم تفتتح أي مؤسسات تعليمية متوسطة أو ثانوية للفتيات وألقت الحكومة باللوم في ذلك على النزعة المحافظة للسكان ومعارضتهم لتعليم البنات[١٦].

٣/١-أوضاع المرأة خلال فترة الإدارة البريطانية والفرنسية (١٩٤٣-١٩٥٠م)

بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣م خضعت ليبيا للإدارة البريطانية والفرنسية، وكانت الحرب قد ألحقت أضرارًا مادية ومعنوية بالسكان وتسببت في تدمير المباني والمنشآت في المدن الرئيسية في البلاد وأصبح سكانها بدون مأوى، كما تعطلت الخدمات وهبط مستوى معيشة السكان بشكل كبير[١٧]،وتمثلت أهم المشاكل التي كان على حكومتي الإدارة معالجتها في استعادة الأمن وتوفير المؤن لبلاد أنهكتها الحرب وهدمت الكثير من مبانيها، بالإضافة إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان بالعمل على إنعاش التجارة التي أصابها الركود بسبب الحرب وتوفير الخدمات الصحية وإعادة افتتاح المدارس[١٨].

وعلى الرغم من أن الأوضاع الاجتماعية للسكان لم تشهد تحسنًا ملموسًا في ظل حكومتي الإدارة إلا أنه يمكن ملاحظة بعض التطورات الجوهرية التي مر بها المجتمع الليبي خلال هذه الفترة كان أبرزها إدراك السكان لأهمية تعليم أبنائهم، ومطالبتهم بإعادة افتتاح المدارس التي أغلقت بسبب الحرب، كما شهدت هذه الفترة حدوث اهتمام محدود من الأهالي بتعليم البنات، وحصول الإناث على فرص للتعليم أفضل من قبل[١٩]، وكان لعودة الأسر الليبية التي هاجرت إلى الأقطار العربية أثرًا إيجابيًا في زيادة الوعي تجاه تعليم المرأة ودورها في الحياة العامة، فأنشأت الإدارة البريطانية عددًا من المدارس لتعليم البنات بلغ مجموعها عام ١٩٤٨م أربعة عشر مدرسة ووصل عدد طالباتها إلى ١٤٥٩ تلميذة[٢٠]، وتم تدريب بعض المعلمات المحليات وافتتاح مدرسة لإعداد المعلمات في عام ١٩٥٠م، وتولت معلمات مصريات وليبيات مهمة التعليم في مدارس البنات[٢١].

ثانيًا: الدور الوطني للمرأة الليبية خلال النصف الأول من القرن العشرين

شاركت المرأة الليبية في حركة المقاومة الوطنية ضد الغزو الإيطالي منذ البداية، ويمثل هذا الجانب أهم أدوارها الوطنية، وقد أسهمت النساء الليبيات في حركة الجهاد عبر قيامهن بأدوار مختلفة تشمل تقديم الدعم المادي والمعنوي للمجاهدين في ساحات القتال، وتوليهن مهمة العناية بأسرهن في غياب الرجال، وقد تعرضت المرأة الليبية نتيجةً لذلك لعمليات الاعتقال والنفي والتعذيب[٢٢]، ومن أهم صور مشاركة المرأة في مقاومة الغزو الاستعماري:

٢/١-دور المرأة الليبية في معسكرات الجهاد

لعبت النساء في المجموعات القبلية دورًا محوريًا بالانضمام لحركة المقاومة مع أفراد أسرهن وقبائلهن في معسكرات الجهاد، فعلى سبيل المثال مكن نظام (الأدوار) وهو التنظيم القبلي الذي أعطى المقاومة ضد الاستعمار في شرق البلاد شكلها واستمراريتها النساء من الانضمام لحركة المقاومة رفقة أقاربهن، ومنذ ذلك الحين ظهر مصطلح (النفاقة) للتعبير عن النساء اللواتي تركن بيوتهن لخدمة المجاهدين وعلاج الجرحى والمصابين منهم[٢٣]، وقد أشار المراسل الفرنسي جورج ريمون إلى هذا الدور فذكر بأنه شاهد أثناء زيارته لمعسكر المجاهدين في معسكر عين بو منصور بالقرب من درنة مجموعات من المجاهدين خصصت لكل منها امرأة مكلفة بطبخ طعامهم وغسل ملابسهم[٢٤].

كما ذكر الضابط التركي أنور باشا بأن القبائل العربية المتمركزة حول مدينة درنة كانت تبعث بالمجاهدين إلى معسكرات الجهاد ومعهم النساء لخدمتهم فكان كل عشرة مجاهدين مزودين بجمل يحمل خيمة لإيوائهم، ومصحوبين بامرأتين من قبيلتهم لتقوما بإعداد الطعام وغسل الثياب وتنظيف البنادق وتضميد الجراح،، وقد تعرضت أولئك النسوة للإصابة برصاص العدو أثناء قيامهن بمهامهن، فأصيبت إحدى المجاهدات بشظية في صدرها خلال اشتباك مع الإيطاليين في عين بو منصور في١٨ ديسمبر عام١٩١١م أثناء قيامها بإذكاء حماس المحاربين، واستشهدت ثلاث نساء في شهر يوليو١٩١٢م نتيجة القصف الإيطالي على هذا المعسكر[٢٥]، وكان دور النساء في هذه المعسكرات يتمثل في إعداد الطعام والملابس ومد المجاهدين بالسلاح والعتاد والماء، ومداواة الجرحى ونقل الشهداء من ساحة المعركة، كما قامت بعض النسوة بدور استخباراتي يتمثل في نقل أخبار وتحركات العدو إلى المجاهدين[٢٦]، وقد أعرب أنور باشا عن إعجابه بالنساء الليبيات وببساطتهن وتواضعهن وقوة شخصياتهن وقدرتهن على التحمل[٢٧].

إلى جانب هذا الدور لعبت النساء دورًا معنويًا في ساحات الجهاد يتمثل في الرفع من الروح القتالية لدى المجاهدين وشد أزرهم، ومن الأمثلة على ذلك ما قامت به نساء عيت (فرع) مريم من قبيلة العبيدات عندما أصيب شيخ القبيلة المبري المريمي أثناء تصديه للقوات الإيطالية التي كانت تحاول احتلال منطقة قصر الناظورة بالقرب من طبرق في ديسمبر عام ١٩١١م، ولما رأى أفراد القبيلة شيخهم صريعًا كادت عزائمهم تخور غير أن نسائهم كن ورائهم يلهبن حماسهم، فما كان منهم إلا أن هاجموا العدو وأعملوا فيه أسلحتهم[٢٨]، وقد أشاد الضابط التركي (خليل مظفر بي) بما قامت به نساء المجاهدين في منطقة ترهونة خلال عام١٩١٢م، ووصف للصحفي جورج ريمون موقفهن في مقاومة الغزو الاستعماري قائلاً:(...وتصحب المجاهدين نسوتهم، حيث يقفن فوق قمم التلال والروابي مطلقات أثناء التحام رجالهن مع العدو زغاريد حادة هي زغاريد الفرح والتشجيع والإعجاب بهم، فلا يتراجع منهم أحد وقد سلطت عليه النساء أنظارهن بل إن الكثيرات منهن يقاتلن معهم، في حين تتطوع أخريات بنقل الماء لسقي الرجال على خط النار الأول، أو نقل الشهداء حيث يقصينهم عن ميدان المعركة ويتحلقن حول جثثهم الطاهرة يندبن ويصرخن ...)[٢٩].

وكانت الأهازيج والأشعار التي ترددها النساء في ساحات المعارك مصدرًا لبث الحمية والفخر في نفوس المجاهدين، وقد وصف أنور باشا وصول موكب يضم ثلاثة آلاف من محاربي قبيلة البراعصة إلى معسكر القتال بالظهر الحمر قرب درنة في يناير عام ١٩١٢م، فقال:(تقدم ركب المقاتلين عدد من النسوة العربيات يترنمن بالأغاني الحماسية الشجية، وأعقبهن زوجات الشيوخ والحسناوات من الفتيات من شتى القبائل على

ظهور الجمال، وأخذ المقاتلون الفرسان يتسابقون بخيلاء خلف هذا الركب المهيب)[٣٠]، كما ذكر جورج ريمون بأنه قد سمع وهو يتجول في مضارب قبيلة سديدي (العواقير) غناء متناوب بين امرأتين إحداهما من قبيلة سديدي (من فروع العواقير) والأخرى من قبيلة المغاربة، وقد ترجم له الضابط عزيز المصري كلمات المرأتين التي كانت تدور حول معركة الزريريعية، وكانت كلتاهما تتفاخر باستبسال رجال قبيلتها في تلك المعركة التي خاضوها ضد الإيطاليين محاولة أن تضفي عليهم من شيم البطولة أكثر من الأخرى، وأشار عزيز المصري إلى إحدى المرأتين قائلاً بأنها اشتهرت في معركة الزريريعية بأهازيجها الشعبية وقد عرضت نفسها للخطر في ساحة المعركة وهي سادرة في الشدو بملحمتها البطولية حتى تلقت رصاصة فجرحتها جرحًا بليغًا، واعتبر جورج ريمون أن هذه الأهازيج والأغاني البدوية ليست سوى صدى بعيد لشعر الفخر الذي عرفه العرب في العصر الجاهلي وبداية العصر الإسلامي عندما كان الشاعر إنسانًا ملهمًا لقبيلته و لكلماته من الفصاحة وقوة البيان تأثيرًا قويًا في نفوس الناس[٣١].

وقد برزت شاعرات ليبيات جسدن حركة المقاومة في أشعارهن، اشتهرت منهن الشاعرة صالحة الطويلية والشاعرة داروها العبار والشاعرة أم الخير عبد الدائم شاعرة معتقل البريقة التي عبرت في أشعارها عن الواقع المرير الذي عاشه السكان المعتقلون في معتقلات الإبادة الجماعية، ووصفت الأوضاع المأساوية في المعتقلات قائلة:

لسلام يا مولاي ضعفن أحوالهم
وضاقت وسيعات الخلا من قبورهم[٣٢]

ووصفت إدارة الضابط الإيطالي باريلا للمعتقل قائلة:

حكمك جاير يا باريله فنى المال ورق العيلة
جضينا من الحكم الجاير والسوط اللي ديما عايل
ضديتك رعيان سلايل واتحارب في ناس رعية
ماسكنا في بو مختار اللي كاد أركان الحربية
سخر لك في الجو ثقيلة واقطع يدك يابريلة[٣٣].

والشاعرة سالمة ملاس الفاخري التي رثت المجاهد عمر المختار وصورت في أبياتها مشهد إعدامه[٣٤]

وعلى الرغم من أن الدور الرئيس للمرأة في حركة الجهاد كان يتمثل في الإمداد والدعم المعنوي، وأن حمل السلاح كان منوطًا بالرجال إلا أن بعض المصادر قد أشارت إلى مشاركة النساء في القتال في المعارك، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الصحفي جورج ريمون بأن امرأة من قبيلة النوايل تدعى سليمة بنت مقوس اشتهرت باشتراكها في المعارك التي نشبت مع الإيطاليين بالقرب من طرابلس، وقد تعرضت للإصابة بالرصاص في صدرها ونقلت إلى مضارب قبيلتها لتلقي العلاج، وأنها عادت بعد شفائها لتأخذ مكانها من جديد في صفوف المجاهدين، وقد أعجب بول تريستان مراسل جريدة (المرسيلي الصغير) الصادرة في مرسيليا بشجاعة هذه المرأة فأهداها حسامًا، كما أشار إلى أنه أثناء وجوده بمعسكر بن غشير عام١٩١٢م انضمت اثنتا عشر امرأة محاربة من فزان إلى صفوف المجاهدين[٣٥].

وقد ذكر المجاهد عثمان عبد السلام العبار الذي شهد معركة سلوق بأن النساء قاتلن في تلك المعركة[٣٦]، كما تحدث المجاهد علي أمبارك اليمني عن مشاركة المرأة الليبية القتال ضد العدو فيقول:"(اشتبك المجاهدون مع الإيطاليين قرب المرج ، وكانت مع المجاهدين زوجة المجاهد عيسى الوكواك وتدعى مبروكة تمتطي حصانًا وعندما حمى وطيس المعركة تقدمت مبروكة بجوادها وسلاحها وشاركت المجاهدين القتال...)[٣٧]، وقد وردت أسماء عدد من المجاهدات ضمن الشهداء الذين سقطوا في المعارك ومنهم على سبيل المثال المجاهدة معلومة الهنداوي التي استشهدت يوم معركة مراوة بمنطقة الجبل الأخضر عام ١٩٢٤ م والمجاهدة أم حلاط التي سميت بهذا الاسم لأنها كانت تضع حلاط أي الوشاح حامل الذخيرة على وسطها مثل الرجال[٣٨]، والشهيدة مبروكة عبد الرحمن التي استشهدت مع زوجها الشهيد حسن الصديق المسماري في معركة وادي السانية عام ١٩٣٠ م[٣٩].

٢/٢-الدور الاقتصادي والاجتماعي

على الصعيد الاقتصادي كان دور المرأة في الحفاظ على استمرار الحياة الطبيعية في القبيلة أثناء الحرب وتوفير الدعم اللوجستي للمقاومة هامًا، ومثل هذا الدور دافعًا لاستمرار حركة الجهاد[٤٠]، فقامت النساء وخاصة في الريف والبادية بتوفير احتياجات أسرهن في ظل غياب

الرجال في معسكرات الجهاد، وبذلن جهدًا مضاعفًا لحرث الأرض وبذرها وحصد المحصول وطحن الحبوب ورعي الحيوانات، وكان العبء الأكبر عليهن في إعالة أسرهن وإمداد المجاهدين بالماء والغذاء، ونستطيع أن نتصور مدى ثقل هذا العبء عندما نتعرف على أدوات القيام بهذه الأعمال فالمحراث كان يدويًا تجره الدواب وكانت المرأة البدوية تقوم بالحصاد يدويًا بالمناجل ، وتطهو الطعام على نار الحطب الذي تقوم بجلبه بنفسها، وإلى جانب ذلك كان عليها أن تقاوم سياسات العدو لتجويع السكان بحرق المحاصيل وردم الآبار.[٤١]

وعلى الصعيد الاجتماعي قامت المرأة بواجب الرعاية الاجتماعية لأطفالها ولأقاربها من المسنين والعجزة[٤٢] وبحمايتهم، وفي حالة حدوث الاشتباكات بالقرب من المضارب كن يقمن بترحيل النجع قبل وصول العدو، وتقول إحدى المجاهدات: (نحن النساء كنا نسوق الإبل ونقوم برعاية الأطفال و"نوكل" المجاهدين...) كما شاركن في حراسة مضارب القبيلة وقد ذكرت إحدى المجاهدات إن بعض النساء كن يقمن بحراسة النجع، وإخفاء المجاهدين عندما كانوا يأتون من أجل استقصاء الأخبار عن العدو والاطمئنان على أسرهم والتزود بالطعام والشراب، وقد تتعرض النساء للتعذيب والأسر في حالة إيواء المجاهدين ويعاقبن بالجلد والشنق[٤٣].

وفي ظل غياب الرعاية الصحية كانت المرأة تقوم بدور كبير في هذا الجانب، فكانت تقوم بمعالجة المصابين في الحرب إلى جانب معالجة الكثير من الأمراض التي يتعرض لها أقاربهن بالوسائل التقليدية، وفي الغالب كانت تتولى هذه المهمة النساء المتقدمات في السن من ذوات الخبرة في الطب الشعبي ويطلق علي من تقوم بهذا الدور اسم (طبيبة العرب) وتقوم بعلاج الأمراض باستخدام الأعشاب والخرت والكي وغيرها من الأساليب التقليدية[٤٤].

ونظرًا لأهمية الدعم الذي قدمته المرأة الليبية لحركة الجهاد فقد تعرضت لعمليات الاعتقال والأسر والتعذيب والنفي وحكم على العديد منهن بالإعدام والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد اعتقل الإيطاليون يوم معركة الحقيفات بمنطقة سلوق(١٩١٥ م) أكثر من ستين امرأة وقاموا بسجنهن بسجن جردينة[٤٥]، ويروي الرحالة الدانمركي كنود هلمبو الذي زار ليبيا في عام ١٩٣٠ م أن المحكمة العسكرية في درنة حكمت بالإعدام على إحدى نساء المدينة بتهمة تزويد المجاهدين بالمؤن وقد تم تنفيذ الحكم فيها[٤٦]، ويذكر أحد المجاهدين أن الإيطاليين هاجموا نجعهم وقتلوا والده وإحدى أخواته فما كان من والدته إلا أن ضربت الجندي الإيطالي بالحجارة فأطلق عليها النار وأصيبت في كتفها ثم أخذها وأخته الأخرى معه ولم يراهما بعد ذلك، وكان الإيطاليون يأخذون النساء من عائلات المجاهدين رهائن ويتم تهديد ذويهن بتعذيبهن والاعتداء عليهن وشنقهن إذا لم يرضخ المجاهدين ويسارعوا إلى تسليم أسلحتهم، من الأمثلة على ذلك اعتقال المجاهدة خزنة عبد السلام الكزة لإرغام والدها على الحضور من مصر وتسليم نفسه للإيطاليين، كما اعتقلت زوجة المجاهد إبريك اللواطي وابنته بعد هربه إلى مصر وأعدمتا[٤٧]، وقد استنكر الضابط الإيطالي جوزيبي دايوديناتشي الذي كان يشغل منصب متصرف الجبل عام ١٩٣٠م في رسالة له سلوك الجنود الإيطاليين الذين كانوا يطلقون النار على النساء والأطفال وذكر بأن مجموعة من الضباط قامت بإطلاق النار على ٣٦ امرأة وطفل في أحد المعسكرات[٤٨].

وفي معتقلات الإبادة التي أقامها الإيطاليون لقبائل برقة خلال الفترة ١٩٢٩-١٩٣٤م تعرضت النساء للضرب والتعذيب، وقد جسد الشاعر الشعبي رجب بوحويش معاناة النساء في معتقل سلوق فيقول:

ما بي مرض غير ضرب الصبايا وجلودهن عرايا
ولا يقعدن يوم ساعة هنايا
ولا يختشوا من بنات السمايا
يقول يارزيلة وعيب قبيح ما يرتضى للعويلة[٤٩]

ومن الجدير بالذكر أن عمليات النفي إلى الجزر الإيطالية لم تستهدف الرجال فقط بل طالت النساء أيضًا، ففي عام ١٩١٢م وصلت مجموعة من المنفيين الليبيين من بينهم خمسين امرأة، وقد خصص للنساء سجن (تراني) في مدينة باري بمقاطعة بوليا في جنوب ايطاليا[٥٠]، واستمرت عمليات النفي حتى نهاية الاستعمار الإيطالي، فقد قامت ايطاليا خلال الحرب العالمية الثانية بنفي أعداد

من الليبيين كرد فعل على مساندة الليبيين للقوات الانجليزية أثناء تقدمها في عام ١٩٤١م وعلى الهجمات التي تعرض لها المستوطنين الإيطاليين بعد انسحاب القوات الإيطالية، وكان من بين المبعدين إلى إيطاليا حوالي ثلاثمائة امرأة[٥١].

ثالثًا: الدور الريادي للمرأة الليبية

واجهت المرأة الليبية خلال النصف الأول من القرن العشرين الكثير من العوائق والتحديات التي أثرت على وضعها ودورها في المجتمع، فقد عاشت في مجتمع تقليدي محكوم بنسق من القيم المستندة على أفكار ومعتقدات متوارثة تقوم على تقييد حرية المرأة والهيمنة عليها[٥٢]، كما تأثرت أوضاع المرأة بالظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها البلاد خلال هذه الفترة التاريخية كالاستعمار والفقر والأمية، فاحتلال ليبيا من قبل القوى الاستعمارية، والحروب التي دارت رحاها على الأراضي الليبية أثر على الأوضاع والنظم الاجتماعية والثقافية في المجتمع وانعكس ذلك على دور المرأة، وكان للأوضاع الاقتصادية دورًا هامًا في تشكيل المجتمع الليبي فليبيا كما وصفها تقرير للأمم المتحدة كانت حتى الخمسينيات من القرن الماضي مثالاً للفقر في صورته المتطرفة وقد شكل ذلك عائقًا أمام المرأة وقدرتها على التطور[٥٣].

وعلى الرغم من هذه الظروف والتحديات إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور رائدات ليبيات أسهمن في كسر حالة الجمود والتخلف التي فرضتها العادات والتقاليد الراسخة في المجتمع، فقد استطاعت بعض نساء المدن المعروفات في ثلاثينيات القرن الماضي أن يقتحمن بصعوبة بعض مجالات الحياة العامة كالتعليم والتمريض، وظهرت محاولات لأقلام نسائية كتبت مقالات اجتماعية نشرت في بعض الصحف مثل صحيفة طرابلس الغرب ومجلة ليبيا المصورة[٥٤]، وبصفة عامة يمكن القول بأن نشاط المرأة في هذه الفترة كان نشاط نخبة أو نشاط قلة اعتمد على المبادرات الفردية من أجل توسيع دائرة المشاركة و فتح المجال أمام الأخريات[٥٥]، ومن أبرز الأمثلة على الرائدات الليبيات خلال النصف الأول من القرن العشرين:

٣/١-حميدة طرخان (العنيزي)

هي حميدة محمد طرخان (١٨٩٢-١٩٨٢م) رائدة الحركة النسائية في ليبيا، ولدت في مدينة بنغازي ودرست فيها ثم أوفدت من قبل الإدارة التركية في عام١٩١١م إلى إسطنبول للدراسة بالمعهد العالي للتدريس وبعد أربع سنوات أنهت دراستها، وحفظت القرآن الكريم وأتقنت عدة لغات إلى جانب اللغة العربية منها التركية والفرنسية، وعادت إلى أرض الوطن في عام ١٩١٤م، وتزوجت من السيد عبد الجليل العنيزي، وكانت تحمل رسالة تود تحقيقها فقد أدركت أن التعليم هو السبيل الوحيد للنهوض بالمرأة وتحويلها إلى عضو فاعل في المجتمع، وانطلاقًا من قناعتها هذه عزمت على فتح باب التعليم أمام من يرغب في ذلك من البنات الصغيرات، ودعت قريباتها وجاراتها إلى إرسال بناتهن إلى دارها ليتعلمن القراءة والكتابة، وقد لبت دعوتها بعض الأسر[٥٦].

بدأت حميدة خطوتها الأولى في مجال التعليم خلال عامي ١٩١٧م و١٩١٨م، وكان عملها تطوعيًا بحتًا فافتتحت فصلاً دراسيًا في بيتها وفرشته بالحصر، واتخذت من المدرسة منطلقًا لتحقيق رسالتها للنهوض بالمرأة ثقافيًا واجتماعيًا، وكانت تشتري من مالها الخاص بعض ما تحتاجه الفتيات الفقيرات، وأصبح اسم الخوجة حميدة- كما كانوا ينادونها- معروفًا لدى معظم النساء في المدينة، وأدخلت خريجات حميدة روحًا جديدة على منازلهن فازدانت جدران الغرف باللوحات الجميلة التي قامت بتطريزها التلميذات في المدرسة، وفي عام ١٩٢٤م افتتحت السلطات الإيطالية مدرسة للبنات في بنغازي لتعليم الفتيات اللغة الإيطالية والعربية وفن الخياطة والتطريز وصناعة السجاد، فالتحقت حميدة بها وأسند إليها تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم، وقد التحق بها في بادئ الأمر عدد قليل من الفتيات لأن الناس لم تتقبل بعد فكرة تعليم الفتيات، فكانت حميدة تذهب إلى الآباء والأمهات لإقناعهم بالسماح لبناتهم بالتعلم، ولم يكن هذا الأمر سهلاً ولكنها امتلكت قدرة كبيرة على الإقناع واستخدمت الحجج والبراهين لحثهم على ذلك، وكان عليها أن تتجاوز مهمتها كمعلمة وتتحول إلى داعية لتعليم الفتاة الليبية، ثم افتتحت مدرسة أخرى في منطقة بنغازي القديمة وكان أول من التحقت بها السيدة شبرا طراخان شقيقة حميدة والسيدة سمية حجلاكي، وأسندت إليهما مهمة تعليم الفصل الأول والثاني، وفي هذه الأثناء استمرت حميدة في افتتاح الفصول الدراسية أو المدارس

البسيطة والتوسع في نشر العملية التعليمية لفتح المجال أمام المزيد من الطالبات، فأنشأت مدرسة بعدة فصول في منطقة باب البحر أو البلاد، وقد خرجت تلك المدارس مجموعة لا بأس بها من الطالبات تحصلن على شهادة الابتدائية باللغتين الإيطالية والعربية، وانخرط أغلبهن في مهمة التدريس، ومن أولئك المعلمات خديجة الجهمي ونورية الأزرق وفريحة طراخان والسيدة فاطمة بن غلبون وحميدة بن عامر[٥٧].

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية توقف التعليم بشكل كامل نتيجة لتعرض بنغازي للغارات الجوية وعمليات الكر والفر بين الدول المتصارعة، وإثر هزيمة إيطاليا ووضع البلاد تحت إشراف حكومتي الإدارة وعودة بعض الأسر الليبية من المهجر حدث اهتمام محدود بتعليم الفتيات من قبل الأهالي[٥٨]، وقد أسهمت السيدة حميدة في ذلك بنصيب كبير منادية برسالتها الإنسانية المتمثلة في محو الأمية المتفشية في مجتمع النساء على وجه الخصوص، وأعيد افتتاح المدارس في بنغازي، فتأسس أول فصل ابتدائي للذكور في عام ١٩٤٣م واتبعه إنشاء فصل للفتيات، ثم تم افتتاح مدرستين للبنات في بنغازي إحداهما في البركة أسندت إدارتها إلى حميدة العنيزي، فكانت أول سيدة تتولى إدارة مدرسة خلال فترة حكومة الإدارة، وقد تخرج من هذه المدرسة العديد من الفتيات اللاتي واصلن دراستهن فيما بعد وقدمن خدمات قيمة للمجتمع[٥٩].

٣/٢-جميلة الإزمرلي

جميلة مصطفى صبري الإزمرلي(١٨٩٢-١٩٦٥) معلمة وكاتبة من مواليد مدينة طرابلس، وتعد من أوائل المعلمات في ليبيا إلى جانب السيدة حميدة العنيزي، وكانت من السيدات اللواتي يرجع الفضل لهن في حث الأسر على تعليم البنات وإدخالهن المدارس[٦٠]، وتعد من أبرز نساء طرابلس ثقافةً وتعليمًا فقد تلقت تعليمها في تركيا حيث درست بالمدرسة الرشدية بتركيا إبان العهد العثماني، ثم درست بدمشق في معهد المعلمات وتحصلت على دبلوم المعلمات[٦١]، وعملت كمعلمة لفترة قبل عودتها إلى طرابلس وهو ما مدها بخبرة واسعة في مجال التعليم، وأوقفت حياتها على تعليم البنات وعلى الرغم من كل الصعوبات التي واجهتها كانت تحث الفتيات على التشبث بالتعليم والذهاب إلى المدارس حتى ولو بالفراشية (الزي الليبي)، وكانت السيدة جميلة أيضًا كاتبة ولها بعض المقالات التي كتبتها في أواخر الثلاثينيات ومطلع الأربعينيات، اتسمت بالوعظ والإرشاد وتناولت العادات والأخلاق[٦٢]، اشتغلت عبر مسيرتها كأستاذة في فن التطريز فضلاً عن كونها من رائدات العمل التطوعي[٦٣].

٣/٣-زكية عبد الله شعنانة

من مواليد مدينة طرابلس عام ١٨٩٥م، والدها الشيخ عبد الله شعنانة إمام جامع الدروج بالمدينة القديمة، حفظت القرآن الكريم على يد الشيخ مختار حورية، وتعلمت اللغتين التركية والإيطالية إلى جانب صناعة السجاد والصناعات اليدوية الأخرى كالحياكة والتطريز بجميع أنواعه، وبرعت فيها إلى درجة أن أعمالها بيعت في بريطانيا، وهي أول سيدة ليبية تعمل كمعلمة في مدينة طرابلس في عام ١٩١٧م[٦٤].

٣/٤-زعيمة الباروني

المعلمة والأديبة زعيمة (١٩١٠-١٩٧٦م)[٦٥] ابنة المجاهد والشاعر سليمان باشا الباروني، وهي واحدة من الرائدات اللواتي كن يحملن نظرة تقدمية فيما يخص حرية المرأة وتعليمها، ولدت في جادو بجبل نفوسة، وتلقت تعليمها الابتدائي في إسطنبول بتركيا، ثم أكملت دراستها باللغة العربية بعد عودتها من تركيا وأثناء تنقلها مع والدها بين الأقطار العربية، وكان لوالدها دور كبير في تعليمها وتثقيفها فقد عاشت معه في المهجر[٦٦]خلال فترة تنقله بين العراق التي مكث فيها لفترة[٦٧] ثم سلطنة عمان التي عمل بها والهند، ومما أسهم في زيادة ثقافتها أنها كانت تتمتع بشخصية منفتحة وتحب القراءة، وبعد وفاة والدها سنة ١٩٤٠م عادت إلى طرابلس مع عائلتها، وعينت في عام ١٩٥٠م كمدرسة في مرحلة التعليم الابتدائية[٦٨].

٣/٥-خديجة الجهمي

خديجة محمد الجهمي (١٩٢١-١٩٩٦) هي إحدى رائدات العمل الإذاعي والصحفي في ليبيا إلى جانب عملها كمعلمة، من مواليد مدينة بنغازي التحقت بالمدرسة الإيطالية في بنغازي وهي في السادسة من عمرها خلال الفترة من ١٩٣١-١٩٣٦م وحصلت على الشهادة الابتدائية، وتتلمذت على يد السيدة حميدة العنيزي وبديعة فليفلة، ألفت في طفولتها وهي في المرحلة الابتدائية

مجموعة كتب بسيطة كان عنوان أحدها(قالوا في المرأة) وهى عبارة عن أقوال جمعتها عن المرأة، وكتبت رسالة لموسوليني باللغة الإيطالية قالت فيها: (أنا معجبة بك كونك تريد توحيد بلادك- ولكن احتلالك لبلادي غير صحيح – ولابد أن تفكر كثيرًا كي تترك ليبيا لأهلها وتخرج منها وإلا سيأتي يوم سيكون جحيمًا على إيطاليا)، وبسبب هذه الرسالة قام رجال الاحتلال باستجواب والدها، عملت بمجال التدريس بعد حصولها على الابتدائية، ثم سافرت بعد ذلك مع والدها للقاهرة ودرست في مدرسة عابدين ضمن الفترة المسائية، ووصلت إلى الصف الثاني الثانوي- ويعرف في ذلك الوقت بشهادة الثقافة العامة- وكانت محبة للعلم ولإلقاء الشعر ونظمه وخاصة الشعر الشعبي وشجعها والدها على هذه الملكة، وكانت أول الأبيات التي نظمتها تتغنى بالعلم فقالت:

محل الشرف والعز نا نبيها
هي المدرسة يا خالقي داعيها
فيها تروق أفكاري علي
خوجتي نقرأ جميع أفكاري
أبجاه النبي والبيت والبخاري
تحفظ جميع اللي تعلم فيها

فأعجب والدها بكلماتها وأحضر لها شيخًا أزهريًا لتعليمها القرآن الكريم ومبادئ النحو، ومعلمة علمتها فنون الحياكة والتطريز، كما وفر لها الكتب والمجلات الإيطالية التي تعني بشئون المرأة والفنون الجميلة مما حبب إليها العمل الصحفي فيما بعد[٦٩]، وقد كتبت قصائد شعرية وأزجال تناولت فيها مواضيع مختلفة تعالج فيها المشاكل الاجتماعية في صورة كوميدية ساخرة ومنها قصيدة جزلية عن التقازة (العرافة) وعن تعدد الزوجات[٧٠].

٣/٦-صالحة ظافر المدني

من مواليد طرابلس(١٩٢٣-٢٠٠٨) هاجرت أسرتها في عشرينيات القرن الماضي من طرابلس إلى السعودية، وفي مكة حفظت القرآن الكريم في الكتاب وظلت بها لمدة أربعة عشر عامًا، وخلال الحرب العالمية الثانية سافرت مع والدها إلى روما، ثم عادت إلى طرابلس عام ١٩٤٥م وعملت كمعلمة، كتبت عدة مقالات نشرتها في جريدة طرابلس الغرب وكانت تدعو الفتيات إلى التعلم، وكانت أول سيدة طرابلسية ينطلق صوتها عبر أثير إذاعة الراديو المحلي العربي بمدينة طرابلس في٣ فبراير ١٩٤٩م في بيان حثت فيه الفتيات إلى الالتحاق بركب العلم والمعرفة وعدم الاستماع إلى أقوال الرجعيين[٧١].

خَاتِمَةٌ

في ختام هذا البحث نستخلص أن الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية التي مرت بها البلاد قد أثرت على حياة المرأة الليبية وعلى دورها في المجتمع بشكل كبير، ففي أواخر العهد العثماني تأثرت حياة المرأة بالثقافة التقليدية السائدة في المجتمع التي قيدت حريتها وحرمتها من الكثير من حقوقها، وفي العهد الإيطالي تأثرت أوضاع المرأة في ليبيا بالسياسات الاستعمارية كالمعتقلات الجماعية وحملات النفي والتهجير والعقوبات المختلفة إلى جانب سوء الأحوال الاقتصادية، كما قامت السلطات الإيطالية باستغلال تعليم الإناث كوسيلة للترويج لسياساتهم وثقافتهم داخل المجتمع الليبي وللتغلغل في الأوساط الشعبية الليبية، وكان للتطورات التي شهدتها البلاد بعد الحرب العالمية الثانية وعودة الأسر المهاجرة أثرها على حياة المرأة حيث أسهمت في رفع مستوى الوعي بأهمية تعليم المرأة مما أدى إلى تغيير بعض المفاهيم الاجتماعية السائدة في المجتمع المتعلقة بخروج المرأة للتعليم والعمل.

وقد تميزت هذه المرحلة التاريخية بمشاركة المرأة الليبية وخاصة في المناطق القبلية في حركة المقاومة الوطنية ضد الغزو الإيطالي، وعلى الرغم من أن المرأة قد لعبت دورًا استثنائيًا في هذا الجانب وأسهمت في تقديم الدعم المادي والمعنوي للمجاهدين في معسكرات الجهاد، وتولت مهمة العناية بأسرتها في غياب الرجل إلا أنه ذلك لم يسفر عن حصول المرأة على الكثير من حقوقها بسبب العوائق الأخرى التي عانت منها المرأة الليبية المتمثلة في تفشي الفقر والأمية.

إن ظهور التعليم الحديث في ليبيا في أواخر العهد العثماني وفي فترة الاحتلال الإيطالي على الرغم من محدوديته قد ساعد على ظهور الدور الريادي للمرأة الليبية وأسهم في بروز رائدات من نساء المدن عملن في مجالات التعليم والثقافة والإعلام مثل حميدة العنيزي وخديجة الجهمي وجميلة الإزمرلي وزعيمة الباروني وغيرهن، ولكن هذا الدور اقتصر على نخبة قليلة من النساء بسبب العادات والتقاليد ونتيجة للظروف التي مرت بها البلاد وقد كان لهذه القلة من السيدات دورًا بارزًا في تشجيع النساء على كسر القيود الاجتماعية والإقبال على التعليم والخروج للعمل.

الاحالات المرجعية:

(١) تيسير بن موسى، **المجتمع الليبي في العهد العثماني الدار العربية للكتاب** (١٩٨٨) ص ص٥٦-٦١.

(٢) بهية القمودي، **مظاهر التغير في وظائف الأسرة الليبية**، المجلة الجامعة، العدد١٦، المجلد١ (فبراير ٢٠١٧) ص١٢٣.

(٣) رأفت غنيمي الشيخ، **تطور التعليم في ليبيا الحديثة**، دار التنمية للنشر والتوزيع والإعلان(١٩٧٢) ص ١٦٠.

(4) Emrys. L.Peters, The Bedouin of Cyrenaica: Studies in personal and corporate power, Cambridge university press (Cambridge,1991)PP.244-246.

(٥) تيسير بن موسى، **المجتمع الليبي في العهد العثماني**، ص٥٨.

(٦) عبد القادر جامي، **من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى**، ترجمة محمد الأسطى، دار المصراتي (طرابلس،١٩٧٤) ص١١٨.

(٧) بهية القمودي، **مظاهر التغير في وظائف الأسرة الليبية**، ص ص١٢٢، ١٢٣.

(٨) تيسير بن موسى، **المجتمع الليبي في العهد العثماني**، ص١٥٢.

(٩) عقيل محمد البربار، **دراسات في تاريخ ليبيا الحديث**، منشورات ELGA (فاليتا، ١٩٩٦) ص٣٧.

(١٠) أم العز الفارسي، **المرأة الليبية ونسج الهوية، دراسة في أثر التحولات التاريخية على تكوين الهوية**، https;//daamdth.org، ص ٣٦

(11) Erica Moretti, "Memorie private di infanzie pubbliche: i bambini libici tra colonia e campi vacanze" Colonialismo e Identità nazionale, Editors Valeria Deplano and Alessandro Pez,(Milano, 2015)p. 138.

(12) Katrina Elizabeth Anderson, Women, Resistance and the creation of new gendered Frontiers in the making of modern Libya, 1890- 1980, a published doctoral, dissertation, Graduate school of Arts and Sciences, Georgetown University, (Washington, D .C.,15 November, 2017) p.138.

(١٣) رأفت غنيمي الشيخ، **تطور التعليم في ليبيا الحديثة**، ص١٩٩.

(14) Katrina Elizabeth Anderson, Women, Resistance and the creation of new gendered Frontiers,p.142.

(١٥) صلاح الدين السوري، **ليبيا والغزو الثقافي الإيطالي، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي ١٩١١-١٩٤٣**، الجزء الثاني، ط٢، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس، ١٩٩٨) ص٤٦٤.

(16) Katrina Elizabeth Anderson, Women, Resistance and the creation of new gendered Frontiers, pp,154-161.

(١٧) مجيد خدوري، **ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي**، ترجمة نقولا زيادة، د.ط، دار الثقافة (بيروت، ١٩٩٦)، ص ٦٠-٦١.

(١٨) نقولا زيادة، **محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال**، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية (القاهرة،١٩٥٨) ص١٢٢-١٢٨.

(١٩) رأفت غنيمي الشيخ، **تطور التعليم في ليبيا الحديثة**، ص ٢٨.

(٢٠) راسم رشدي، **طرابلس الغرب في الماضي والحاضر**(طرابلس،١٩٥٣) ص١٤١.

(٢١) رأفت عنيمي الشيخ، **تطور التعليم في ليبيا الحديثة**، ص٢٨.

(٢٣) يوسف البرغثي، **حركة المقاومة الوطنية بالجبل الأخضر١٩٢٧-١٩٣٢**، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس، ٢٠٠٠) ص٢٠٠، ٢٠١.

(٢٤) أم العز الفارسي، **المرأة الليبية ونسج الهوية**، ص٣٤.

(٢٥) جورج ريمون، **من داخل معسكرات الجهاد**، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، ط٢، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان (طرابلس،١٩٨٣) ص٢٦٢.

(٢٦) أنور باشا، **مذكرات أنور باشا**، ترجمة عبد المولى صالح الحرير، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي (طرابلس، ١٩٧٩) ص٥٨-٦١.

(٢٧) زينب محمد زهري، **موسوعة روايات الجهاد**، سلسلة الروايات الشفوية، المجلد رقم ٣٧، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس،١٩٩٥) ص٣٥.

(٢٨) أنور باشا، **مذكرات أنور باشا**، ص٩٧.

(٢٩) المصدر السابق، ص٣٧٥.

(٣٠) جورج ريمون، **من داخل معسكرات الجهاد**، ص١٧٢.

(٣١) أنور باشا، **مذكرات أنور باشا**، ص٦٥.

(٣٢) جورج ريمون، **من داخل معسكرات الجهاد**، ص٣٠٩.

(٣٣) معنى الأبيات: أن الناس في معسكرات الاعتقال قد تردت أحوالهم، وكثرت الوفيات بينهم حتى ضاقت بها الأرض الواسعة، أنظر يوسف البرغثي، حركة المقاومة الوطنية بالجبل الأخضر١٩٢٧-١٩٣٢، ص١٠٧.

(٣٤) معنى الأبيات: أن حكمك الظالم يا باريلا قد تسبب في إفناء المال ونقص الرجال، وأنهم قد ملوا من الحكم الجائر والسوط الذي يلهب جلود المعتقلين، وأن باريلا قد ترك الفرسان وصب غضبه على العزل محملاً إياهم ما يقوم به عمر المختار، الذي وصفته بأنه قد أربك وحير أركان الحرب الإيطاليين، ثم دعت على باريلا بأن تصيبه قنبلة من الجو تقطع يده جزاء ما اقترفت في حق الأبرياء، انظر مصطفى سعد الهاين، **الشهيد عمر المختار في الشعر الشعبي**، الندوة العلمية سبتمبر ١٩٨١، مركز دراسة جهاد الليبيين (طرابلس، ١٩٨٣) ص ص ١٥٨،١٥٧.

(35) يوسف البرغثي، **حركة المقاومة الوطنية بالجبل الأخضر١٩٢٧-١٩٣٢**، ص٣٠٥.

(٣٦) جورج ريمون، **من داخل معسكرات الجهاد**، ص١٢٥.

(٣٧) رباب أدهم، **موسوعة روايات الجهاد**، سلسلة الروايات الشفوية، المجلد رقم ٢٩، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس،١٩٩١) ، ص٢٣٦.

(٣٨) يوسف البرغثي، **حركة المقاومة الوطنية بالجبل الأخضر١٩٢٧-١٩٣٢**، ص٢٠١.

(٣٩) زينب محمد زهري، **موسوعة روايات الجهاد**، ص٣٥.

(٤٠) المصدر السابق، ص٢٥٥.

(41) Katrina Elizabeth Anderson, Women, Resistance and the creation of new gendered Frontiers,p.249.

(٤٢) زينب محمد زهري، **موسوعة روايات الجهاد**، ص٤٠.

(٤٣) يوسف البرغثي، **حركة المقاومة الوطنية بالجبل الأخضر١٩٢٧-١٩٣٢**، ص٢٠١.

(٤٤) زينب محمد زهري، **موسوعة روايات الجهاد**، ص٣٨، ٣٩.

(٤٥) المصدر السابق، ص٤٥.

(٤٦) المصدر السابق، ص٣٥.

(٤٧) كنود هولمبو، **مواجهة الصحراء مغامرة عبر شمال أفريقيا**، ترجمة حامد محمد مراد، مؤسسة جسور للخدمات الثقافية (٢٠٠٦) د.ص.

(٤٨) زينب محمد زهري، **موسوعة روايات الجهاد**، ص ص٣٥-٣٨.

(49) Chiara Volpato, La violenza contro le donne nelle colonie italiane,Prospettive psicosociali di analisi, DEPORTATE ESULI PROFUGHE,rivista telematica di studi sulla memoria femminile,N10,Universita' Ca' Foscari(Venezia,2009),p113.

(٥٠) زينب محمد زهري، **موسوعة روايات الجهاد**، ص٣٧.

(51) Francesca Di Pasquale, "The Other At home: Deportation and transportation of Libyans to Italy during the colonial era(1911-1943), International review of Social History,vol.63, International Institute Voor Social Geschienis, published on line by Cambridge University Press (19 June 2018).p.p,212-215.

(٥٢) يوسف البرغثي، **حركة المقاومة الوطنية بالجبل الأخضر١٩٢٧-١٩٣٢**، ص١٦٧.

(٥٣) تيسير بن موسى، **المجتمع الليبي في العهد العثماني**، ص٥٧.

(٥٤) آمال سليمان العبيدي، "**الحركات الاجتماعية النسوية في البلاد العربية تقرير مركز المرأة العربية**" ٢٠٠٣، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، (بيروت،٢-٥ ديسمبر٢٠٠٣) د.ص.

(٥٥) **الحركة الثقافية للإبداع النسائي في ليبيا**، مجلة اللغة العدد الرابع الكتاب الثاني (أكتوبر- ديسمبر٢٠١٦) ص٢.

(٥٦) آمال سليمان العبيدي، **الحركات الاجتماعية النسوية في البلاد العربية**، د.ص.

(٥٧) أمينة حسين بن عامر، **المرأة الليبية إبداع وإشعاع، حميدة العنيزي ونصف قرن من الريادة التعليمية في ليبيا**، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية(طرابلس،٢٠٠٥) ص ص٢٩، ٣٠.

(٥٨) المرجع السابق، ص ص٣٢-٣٦.

(٥٩) رأفت غنيمي الشيخ، **تطور التعليم في ليبيا الحديثة**، ص٢٧٥، ٢٨٠.

(٦٠) أمينة حسين بن عامر، **المرأة الليبية إبداع وإشعاع**، حميدة العنيزي ونصف قرن من الريادة التعليمية في ليبيا، ص٣٨.

(٦١) سالمة شنيب، **رائدات ليبيات**، آزول برس https://azulpress.ma//، ٧ أبريل ٢٠٢٠.

(٦٢) **موسوعة عريق**، جميلة الإزمرلي، https://areq.net

(٦٣) سالمة شنيب، رائدات ليبيات.

(٦٤) **موسوعة عريق**، جميلة الإزمرلي.

(٦٥) زكية عبد الله شعنانة، موقع tabib-hishamtabib,https:/worldpress.com.march28,2022.

(٦٦) تُعَدّ السيدة زعيمة الباروني أول أديبة ليبية، وتميزت بأسلوبها القصصي الشيق، وتمثل فنرة الاستقلال مرحلة خصبة لإنتاجها الأدبي، ومن أهم مؤلفاتها في تلك الفترة قصة تتناول الجنوب الليبي بعنوان فزان البعيد ولها أيضاً مجموعة قصصية نشرت في جريدة صوت المربي وجريدة هنا طرابلس الغرب، وصدرت لها في عام ١٩٥٨م مجموعتها من" القصص القومي"، ولذلك تعتبر رائدة في كتابة القصة القصيرة في ليبيا، ومن أهم إسهامات هذه الأديبة هو توثيقها وتأليفها للعديد من الكتب حول والدها الزعيم سليمان الباروني، فوزي عمر الحداد، **دراسات نقدية في القصة الليبية**، منشورات المؤسسة العامة للثقافة (٢٠١٠) ص١٨، ١٠٤، وكذلك سالمة شنيب، رائدات ليبيات.

(٦٧) المرجع السابق

(٦٨) الطاهر الزاوي، **أعلام ليبيا**، ط٣، دار المدار الإسلامي (بيروت، ٢٠٠٤) ص١٧٤.

(٦٩) سالمة شنيب، **رائدات ليبيات**.

(٧٠) التحقت خديجة الجهمي للعمل بإذاعة بنغازي المسموعة كمذيعة بعد الاستقلال في عام١٩٥٤م، وقدمت العديد من البرامج خاطبت من خلالها المجتمع كافةً مثل أضواء على المجتمع وصور من الماضي، كما تولت رئاسة تحرير مجلة المرأة التي صدرت في عام ١٩٦٥م التي أصبح اسمها مجلة البيت فيما بعد، وإلى جانب مجلة المرأة أصدرت مجلة الأمل وهي مجلة خاصة بالطفل، أمينة حسين بن عامر، **خديجة الجهمي نصف قرن من الإبداع**، د.ط، مجلس الثقافة العام (القاهرة، ٢٠٠٦) ص٢٥، ٦٥، ٦٦.

(٧١) المرجع السابق، ص ص٢٨-٣٢.

(٧٢) فاطمة غندور، **أول مقابلة مع رئيسة جمعية النهضة الطرابلسية ١٩٥٧**، موقع منتديات القانون الليبي، 9-11-2008. info@lawoflibya.com